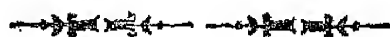


الانصاف

لِطَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ الْاَخْيَارِ



مألف

الفقيه إلى الله تعالى

الزمزمي بن محمد بن الصديقي

غفر الله له

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فتمد وقع السؤال عن خصال يفعلها الصوفية هل لها دليل من الأصول المعتبرة لدى علماء الشريعة المطهرة أم لا دليل لها كما يزعم جهالة هذا العصر العصيب . وقد كنت كتبت قبل هذا فيما يتعلق بمخصلة من هذه الخصال المسؤل عنها وبينت دليلها والآن لما وقع السؤال رأيت أن أجمع في هذه الخصال رسالة أذكر فيها ما وقفت عليه من النصوص والأدلة المتعلقة بهذه الخصال وأبينها بقدر الاستطاعة .

(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) .

وسأرتب الرسالة على مقدمة وأحد عشر فصلا وخاتمة

أما المقدمة ففي فضل التصوف . وأما الفصول ففي كل فصل ذكر

خصلة من الخصال التي يفعلها الصوفية وأبين دليلها

وأما الخاتمة فاذا ذكر فيها ما ورد في الابدال.

واسميتها (الانتصار لطريق الصوفية الأخيار).

المقدمة

ان من سبر أحوال سيد الأكوان ﷺ وتأملها . وتدبر أقواله السديدة وتفهمها . لاشك أنه يتضح له فضل التصوف وعظم قدره ومكانته السامية من الدين وعلو شأنه . وذلك لأن التصوف في الحقيقة مأخوذ من أحواله ﷺ وأقواله . يعلم ذلك من له اطلاع على سنته وأفعاله . ولا ينكره إلا من لاعبرة بكلامه وخلافه .

والله در الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله حيث قال في كتاب له يسمى (تأييد الحقيقة العلية) : وقد ظهر لي أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة علم المعاني والبيان إلى علم النحو . فهو سره ومبنى عليه . إلى أن قال - والحقيقة سر الشريعة ولها الخالص كما أن المعاني والبيان سر النحو ولطائفه انتهى . ولقد صدق فيما قال .

وللغزالي في باب بيان العلم الذي هو فرض كفاية من الأحياء كلام يشبه كلام الجلال السيوطي ويعضده فانه قال : —

أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد . وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان . وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه إلى أن قال : — وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط . وان كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى آخرها . مشغولاً بالتفكر في حساب معاملته في السوق . وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما أن

القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أي إن مافعله حصل به امتثال صيغة الأمر

فأما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر . فلا يتعرض له الفقيه . ولو تعرض له لسكان خارجا عن فنه .

فهذا كلام الغزالي يشهد لما قاله الجلال السيوطي .

وان اردت بيان ذلك فنزل الفقه منزلة النحو يتضح لك الحال .
فالفقيه يفتى بصحة الصلاة التي لا حضور فيها . كما أن النحوى اذا سئل عن قول الشاعر :

* وليس قرب قبر حرب قبر *

ونحوه من الجمل الركيكة يحكم بصحة الكلام وجودته . وان كان الكلام فاسداً عند علماء البلاغة .

فهذا المثال يتضح لك وجه المشابهة بين كلام الغزالي والسيوطي وفي قواعد الأحكام لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي شيخ ابن دقيق العيد كلام مثل كلام السيوطي فانه قال في صحيفة « ٢٠٣ » من الجزء الثاني : وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة . بل الشريعة طائفة باصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات .

فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع : ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشريعة . ولا ينكر شيئا منهما الا كافر أو فاجر وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم . انتهى .

فهؤلاء ثلاثة من كبار العلماء يعترفون بفضل علم التصوف ويقررون

بِعَظَمِ قَدْرِهِ . وَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ زُبْدَةُ الشَّرِيعَةِ الْمَطْهُورَةِ . وَمَا اعْتَرَفُوا بِمَا
اعْتَرَفُوا بِهِ إِلَّا لَمَّا عَلِمُوا أَصْلَ عِلْمِ التَّصَوُّفِ وَشَرَفَ مَنَبِعِهِ وَأَنَّهُ مَا خُوِذَ
عَنْ حَضْرَةِ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَجَاءَ
فِي فَتَوَى لِحْيِ السَّنَةِ . وَمَمِيتِ الْبِدْعَةِ . كَيْفَ الضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
وَسَيْفِ اللَّهِ الْمَسْلُوقِ عَلَى الظَّالِمَةِ وَالْجَبَّارِينَ . سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْوَالِدِ
قُدْسُ اللَّهِ رُوحِهِ . أَجَابَ بِهَا مَنْ سَأَلَهُ عَنْ أَوَّلِ مَنْ أَسَّسَ الطَّرِيقَةَ
وَهَلْ تَأْسِيسُهَا بِوَحْيِ سَمَاوِيٍّ ؟ رَأَيْنَا أَنْ نَرَيْنَ بِهَا صَدْرَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ
وَالْيَكْ نَهْيًا : —

وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ الطَّرِيقَةَ وَهَلْ تَأْسِيسُهَا بِوَحْيٍ . . . الْخ .
فَلْتَعْلَمَنَّ أَنَّ الطَّرِيقَةَ أَسَّسَهَا الْوَحْيُ السَّمَاوِيُّ فِي جَمَلَةٍ مَا أَسَّسَ مِنْ
الدِّينِ الْمَحْمَدِيِّ . إِذْ هِيَ بِلَا شَكٍّ مَقَامُ الْإِحْسَانِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ
الدِّينِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ مَا بَيْنَهَا وَاحِدًا وَاحِدًا دِينًا فَقَالَ :
هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يَطْلُمُكُمْ دِينَكُمْ . فَنَآيَةً مَا تَدْعُوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَةَ وَتَشِيرُ إِلَيْهِ
هُوَ مَقَامُ الْإِحْسَانِ . بَعْدَ تَصْحِيحِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ لِيَحْرَزَ الدَّخْلَ فِيهَا
وَالْمَدْعُو إِلَيْهَا مَقَامَاتُ الدِّينِ الثَّلَاثَةِ الضَّامِنَةُ لِحَرْزِهَا وَالْقَائِمُ بِهَا السَّعَادَةُ
الْأَبَدِيَّةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَالضَّامِنَةُ أَيْضًا لِحَرْزِهَا كَمَالُ الدِّينِ . فَانْهَ كَمَا
فِي الْحَدِيثِ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ . فَمَنْ أَخْلَى بِمَقَامِ الْإِحْسَانِ الَّذِي
هُوَ الطَّرِيقَةُ . فَدِينُهُ نَاقِصٌ بِلَا شَكٍّ . لَتَرْكُهُ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِهِ . وَلِهَذَا
نَصَّ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى وَجُوبِ الدَّخُولِ فِي الطَّرِيقَةِ . وَسُلُوكِ طَرِيقِ التَّصَوُّفِ
وَجُوبًا عَيْنِيًّا وَاسْتَدْلُوا عَلَى الْوُجُوبِ بِمَا هُوَ ظَاهِرٌ عَقْلًا وَنَقْلًا . وَلِسْنَا

الآن بصدد بيان ذلك .

وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية فتكلم على المراقبة ، والمحاسبة ، والتوبة ، والأناة ، والذكر ، والفكر ، والمحبة ، والتوكل ، والرضا ، والتسليم ، والزهد ، والصبر ، والايثار ، والصدق ، والمجاهدة ، ومخالفة الهوى والنفس ، وتكلم على النفس اللوامة ، والامارة ، والمطمئنة ، وعلى الأولياء والصالحين ، والصديقين ، والمؤيدين ، وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم ، فاعرف وتأمل .

وأما قولك هل لما أسست الطريقة . . . الخ

جوابه يعلم مما قبله . فلما إذا كانت من الدين — بل هي أشرف أركانه — وكانت بوحى كما قلناه . وكان الصحابة بالحالة التى بلغتنا عنهم تواترا . من المسارعة الى امتثال أمر الله . كانوا بالضرورة أول داخل فيها وعامل بمقتضاها . وذائق لأسرارها وثمراتها ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد فى الدنيا . والمجاهدة لأنفسهم . ومحبة الله ورسوله . والدار الآخرة . والصبر . والايثار . والرضا . والتسليم وغير ذلك من الاخلاق التى يحبها الله ورسوله . وتوصل الى قربهما . وهى المعبر عنها . بالتصوف والطريقة .

وكما كانوا رضى الله عنهم على هذه الحالة الشريفة . كان اتباعهم أيضا عليها وإن كانوا دونهم فيها . وكذلك كان اتباع الاتباع . وهلم جرا الى أن ظهرت البدع . وتأخرت الأعمال . وتنافس الناس فى الدنيا

وحديث النفوس بعد موتها . فتأخرت بذلك أنوار القلوب . ووقع ما وقع
في الدين . وكادت الحقائق تنقلب وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى
من الهجرة . ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة الى أن وصل ذلك إلى حالة
تخوف منها السلف الصالح على الدين . فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ
هذا الدين الشريف . فقامت طائفة منهم بحفظ مقام الاسلام وضبط فروعه
وقواعده . وقامت أخرى بحفظ مقام الايمان وضبط أصوله وقواعده
على ما كان عند سلفهم الصالح . وقامت أخرى بحفظ مقام الاحسان
وضبط أعماله وأحواله

فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم رضى الله عنهم .
وكان من الطائفة الثانية الأشعرى وأشيائهم وأصحابه
وكان من الثالثة الجنييد وأشيائهم وأصحابه

فعلى هذا ليس الجنييد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من أنها
بوحى إلهي . وإنما نسبت إليه لتصديده لحفظ قواعدها وأصولها ودعائه
للعمل بذلك عند ما ظهر التأخر عنها

ولهذا السبب نفسه نسبت العقائد للأشعرى . والفقهاء للأئمة الأربعة .

مع أن الجميع بوحى من الله تعالى . اهـ

وسنذكر ما ورد من الأحاديث في علم الصوفية وأفعالهم على سبيل
الاجمال والاختصار . وأما البسط فلا يليق بهذه الرسالة . إذ الأحاديث
المتعلقة بطريق الصوفية كثيرة وقد انتخبت منها ما يليق بهذه الرسالة
اللطيفة .

وسأذكرها أولاً على نسق واحد . ثم بعد ذلك أبين ما فيها من الدلالة
لمذهب الصوفية رضى الله عنهم وحشرنا في زمريهم بحاج سسيد المرسلين
صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين .



الحديث الاول

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :
أن الله تعالى قال : من عادى لى وليا . فقد آذنته . وما تقرب إلى عبدى
بشيء أحب إلى مما اقترضته عليه . ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل
حتى أحبه . فإذا أحبته كنت سممه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به
ويده التى يبطش بها . ورجله التى يمشى بها . وإن سألنى لأعطينه .
ولئن استعاذنى لأعيننه

الحديث الثانى

أخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق طاووس عن ابن عباس رضى
الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى إنما أتقبل الصلاة ممن
تواضع لعظمى . ولم يتعاضم على خلقى وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء
مرئى . فقطع نهاره فى ذكرى ولم يبت مصراً على خطيئة . يطعم
الجائع . ويكسو العارى . ويرحم الضعيف ويؤوى الغريب . فذاك الذى
يضيء وجهه كما يضيء نور الشمس . يدعونى فأبى . ويسألنى فأعطى .

ويقسم على فأبر قسمه . أجعل له في الجهالة علماء وفي الظلمة نوراً أكلاً .
بقوتي واستحفظه ملائكتي .

الحديث الثالث

أخرج البراز والبيهقي في الشعب . عن أنس رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ لقي رجلاً يقال له حارثة فقال كيف أصبحت يا حارثة .
قال أصبحت مؤمناً حقاً . فقال ان لكل قول حقيقة . فما حقيقة إيمانك
فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي . وأظمأت نهاري . وكأني أنظر
إلى عرش ربي . وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها . وكأني أسمع
عواء أهل النار . فقال عرفت فالزم

الحديث الرابع

أخرج الترمذي وحسنه عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ : الكيس من دان نفسه . وعمل لما بعد الموت . والعاجز
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله . (الكيس) : العاقل ومعنى (دان
نفسه) : حاسبها .

الحديث الخامس

أخرج أبو الشيخ ابن حبان والبيهقي . عن راز بن الحارث بن رضى
الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من انقطع إلى الله عز وجل كماله كل
مؤنة . ورزقه من حيث لا يحتسب . ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها .

الحديث السادس

أخرج الشيخان عن أبي هريرة في حديث سؤال جبريل عن
الاحسان قال رسول الله ﷺ : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فإن
لم تكن تراه فإنه يراك

الحديث السابع

أخرج البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما بدى به
رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة . ثم حجب اليه الخلاء فكان يخلو
بغار حراء . فيتحنث فيه (وهو التعبد الليالي ذوات العدد) ويتزود لذلك

الحديث الثامن

أخرج الشيخان عن أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أن
موسى قال للخضر (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً . قال إنك
لن تستطيع معي صبرا) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا ينبغي
لك أن تعلمه . وأنت على علم علمك الله لا ينبغي لي أن أعلمه

الحديث التاسع

أخرج الحاكم وصححه وأقر عن أبي هريرة مرفوعا أحبوا
الفقراء وجالسوهم

الحديث العاشر

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : ما شبع آل محمد

ﷺ من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض
وأخرج أحمد . وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما
أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال
يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فمات مالى وللدنيا . ما مثلى
ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة
ثم راح وتركها .

ولو أردنا جميع ما يتعلق بطريق الصوفية لطال الكتاب وخرجنا
عن الموضوع الذى نحن بصدد الكتابة فيه . فلنكتشف بما أوردناه
وفيه كفاية إن شاء الله

والآن نفي بما وعدنا به فيما تقدم من بيان ما فى هذه الأحاديث
من الدلالة لمذهب الصوفية فنقول : —

أما الحديث الاول

ففيه بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته . وذلك لأن الصوفية يبدؤن
بالمجاهدة ولا يزالون يجاهدون أنفسهم ويجهدون في تطهير قلوبهم من
كل ما يبعد عن الله . وتزوينها بكل ما يقرب اليه من الأحوال والأقوال
والأعمال ولزوم الاقبال والمشول بين يديه في كل وقت من الأوقات .
وحال من الأحوال على حسب الامكان حتى يصلوا إلى مقام الفناء
والواصل إلى مقام الفناء هو المحبوب الملحوظ والمربوب المحفوظ . كما قال

في آخر الحديث : فإذا أُحييته كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به . الحديث .

وأما الحديث الثاني

ففيه تنويه عظيم بقدر الصوفية . وذلك لأن الخصال التي ذكرت فيه كلها من الاخلاق التي يتخلق بها الصوفية ويحثون على التخلق بها ومن أراد أن يتحقق بما قلناه فليراجع أصغر كتاب من كتبهم

وأما الحديث الثالث

ففيه ما في الحديث الأول من بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته فان حارثة رضى الله عنه أخبر أنه جاهد نفسه بالقيام والصيام والتجافي عن دار الغرور حتى من الله عليه بالوصول إلى عين اليقين والدليل عندنا في حثه عليه الصلاة والسلام له على لزوم ما أخبر أنه يجاهد به نفسه من الصيام والقيام والزهد في الدنيا . وهذه أخلاق الصوفية رضى الله عنهم .

وأما الحديث الرابع

ففيه التنويه بقدر كل صوفي صادق . وذلك لأن من أخلاق الصوفية محاسبة النفس : وتعميد كل وقت بما يليق به كما نقل الحافظ في (تأييد الحقيقة العلية) عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين . وفي رواية سوى ثلاث كلمات قولهم : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك . وقولهم : نفسك إن لم تشغلها

بالحق شغلتك بالباطن . وقولهم العدم عصمة فقولهم نفسك إن لم تشغلها
بالحق . هو في معنى قوله عليه الصلاة والسلام : الكيس من دان نفسه .
لأن من حاسب نفسه لا يترك لها سبيلا إلى الاشتغال بالباطل . إذ هو
يشغلها بالمحاسبة عن الباطل

وقولهم : الوقت سيف . يشبه آخر الحديث وهو قوله عليه الصلاة
والسلام : وعمل لما بعد الموت . إذ الذي يعمل للموت لا يقطع الوقت بل
هو الذي يقطع الوقت

وأما الحديث الخامس

ففيه الحث على التخلق باخلاق الصوفية ، إذ هم المنقطعون إلى
ربهم المستوحشون من جنسهم المتخلقون باخلاق نبيهم ﷺ

وأما الحديث السادس

فقال الهروي في منازل السائرين فيه إشارة جامعة لمذهب هذه
الطائفة ، قال شارحه : لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ، ودوام
المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات

وأما الحديث السابع

ففيه دليل لما يفعلونه من الخلوة والعزلة والانقطاع عن الخلق في
الزوايا والمساجد

قال بن أبي جرة في شرحه : في الحديث دليل على أن الخلوة عون

للإنسان على تعبدده وصلاحي دينه . لأن النبي ﷺ لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه ، أتاه هذا الخير العظيم ، وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم الله له من مقامات الولاية انتهى

قال القسطلاني : فإن قلت أمر الفارق قبل الرسالة فلا حكم ، أجيب : بأنه أول ما بدىء به عليه الصلاة والسلام من الوحي الرؤيا الصالحة ، ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما مر ، فدل على أن الخلوة حكم مرتب على الوحي ، لأن كلمة ثم للترتيب

وأيضاً لو لم تكن من الدين لنهى عنها ، بل هي ذريعة لمجيء الحق وظهوره مبارك عليه وعلى أمته تأسيساً وسلامة من المناكير وضرباً لها . اهـ

وأما الحديث الثامن

ففيه اثبات علم الحقيقة الخاص بهذه الطائفة ، قال الشيخ سراج الدين البلقيني في هذا الحديث : هذا قد يشكل ، فإن العلم المذكور في الجنتين كيف لا ينبغى علمه قال وجواب هذا الاشكال ، أن علم الحقائق والكشوف يناق علم الظاهر ، فلا ينبغى للعالم الحاكم بالظاهر الذي هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتناق ، ولا ينبغى للعالم بالحقيقة أن يعلم علم الظاهر الذي ليس مكلفاً به الذي يناق ما عنده من الحقيقة

قال ويمكن حمل العلم على تنفيذه والمعنى لا ينبغى لك أن تعلمه لتعمل به . لأن العمل به مناف لمقتضى الشرع . ولا ينبغى لي أن أعلمه فأعمل بمقتضاه . لأنه مناف لمقتضى الحقيقة .

قال : فعلى هذا لا يجوز للولى التابع للنبي صلى الله عليه وسلم اذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة . وإنما عليه أن ينفذ الحكم الظاهر انتهى .

والتأويل الثانى أولى وأحسن من الأول .

وأما الحديث التاسع

ففيه الحث على محبة الصوفية ومجالستهم . إذ الفقير الكامل هو الصوفى الصادق ، لأن الصوفى الصادق يتلذذ بنقره ويشهد فيه المنعزله ويحمده عليه كما يحمد الفير على الفنى ،

لا جرم أن مجالسة من هذه صفته ينتفع بها المسلم فى دينه ، وبها يكون راضيا عن أحكام ربه

ومن أراد أن يقف على ما ذكرناه فليراجع كتب الصوفية

وأما الحديث العاشر

ففيه دليل لما يفعلونه من تقليل الطعام والتكشف فيه

وفى الحديث الذى بعده دليل لهم فى تكشفهم فى اللباس والفروش وغيرهما من زينة الدنيا

ومن هذين الحديثين يعلم بطلان ما سطره ابن الجوزى فى كتابه المسمى (تليس ابليس) من الاعتراض على الصوفية فى الكشف

ولسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعى كلام جميل فى تفضيل علماء الباطن على علماء الظاهر لا بأس أن نعتب به هذه الأحاديث

الشريفة النافعة إن شاء الله

والكلام الذى سأذكره وقع فى جواب سؤال سئل عنه وهو : —
هل الولي أفضل أم العالم ؟

فأجاب بجواب طويل وسأقتصر منه على ما يأتى ، قال : —
وأما قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فأنما أراد
العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه فلا يجوز حمل ذلك
على علماء الأحكام ، لأن الغالب عليهم عدم الخشية ، وخبر الله صدق فلا
يحمل إلا على من عرفه وخشيه

وقد روى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو ترجمان القرآن
الى أن قال : ومما يدل على فضلهم على الفقهاء ما يجريه الله تعالى
عليهم من الكرامات الخارقة للعادات ، ولا يجرى شيء من ذلك على
يد الفقهاء إلا أن يسلكوا طريق العارفين ، ويتصفوا بأوصافهم انتهى
المراد منه

ونرى من اللائق بهذه المقدمة أن نختتمها بذكر ما قاله المؤرخون
عن التصوف وتاريخه فنقول : —

قال أبو القاسم القشيري فى أول الرسالة : اعلموا رحمكم الله أن
المسلمين بعمر رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى
صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها فليل لهم الصحابة : ولما أدر كهم
أهل العصر الثانى سمي من صحب الصحابة التابعين ، ورأوا ذلك
أشرف سمة

ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب
فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة غناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم
ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق، فكل فريق ادعى أن فيهم
زهادا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى،
الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم
لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة. اهـ

ويظهر من كلام ابن خلدون في المقدمة أنه يقول بقول القشيري
في تاريخ ظهور اسم التصوف. فانه قال بعد ما ترجم لعلم التصوف :
وهذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة. وأصله أن طريقة
هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم طريقة الحق والهداية. وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع
الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل
عليه الجمهور من لذة ومال وجاه : والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.
وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الاقبال على الدنيا
في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبولون
على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.

وقال القشيري ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية
ولا قياس، والظاهر أنه لقب. ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من
الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي

قال وكذلك من الصوف، لأنهم لم يختصوا بلبسه اهـ

ويضد ما ذكره القشيري وابن خلدون في تاريخ ظهور اسم
التصوف ما ذكره الكندي وكان من أهل القرن الرابع في كتاب (ولاة
مصر) في حوادث سنة مائتين : انه ظهر بالاسكندرية طائفة يسمون
بالصوفية يأمرون بالمعروف اهـ

وكذلك ما ذكره المسعودي في مروج الذهب حاكيا عن يحيى بن
أكرم قال ان المؤمن يوما لجالس اذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب
فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ يطلب
الدخول للمناظرة ، فعلمت انه بعض الصوفية

فهاتان الحكايتان تشهدان لكلام القشيري وابن خلدون
وذکر فی كشف الظنون : ان أول من سمي بالصوفي أبو هاشم
الصوفي المنوفي سنة خمسين ومائة

ثم بحثت في محاضرة الاوائل لعلاء الدين البسنوي فوجدته عزا
ما ذكره صاحب كشف الظنون لأوائل السيوطي
والآن نتمسك عن الخوض في هذا المقام ونشرع فيما نحن بصدد
الكتابة فيه فنقول : —

الفصل الأول

(في بيان دليل الصوفية فيما يفعلونه من المواظبة على الورد صباحا ومساء)
الورد بالكسر كما في المصباح الوظيفة من قراءة ونحو ذلك واجمع
أوراد ، ويطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحا ومساء

وطريقتهم في ذلك طريقة المحدثين في رواية الحديث مسلسلا بشيخ عن شيخ الى النبي ﷺ ، وورد الطريقة الشاذلية التي هي اب الطرق الاتصالية وأفضلها كما قاله الحافظ السيوطي في تأييد الحقيقة العلية مائة من الاستغفار ، ومائة من الصلاة على النبي ﷺ ، ومائة من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقد وردت الاحاديث عن النبي ﷺ في فضل هذا الورد والترغيب فيه . فقد أخرج مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : يقول الله عز وجل يا بني آدم كلهم مذب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم . الحديث وأخرج ابن ماجه باسناد صحيح . والبيهقي عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير .

وأخرج مسلم عن الاغر بن يسار المزني رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة

وأخرج البزار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من حافظين يرفعان الى الله في كل يوم صحيفة فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفار إلا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي هذه الصحيفة .

وأخرج مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا

وأخرج الطبراني في الاوسط عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا . ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة . ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق وبرائة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء .
وأخرج ابن أبي عاصم بإسناد ضعيف عن أبي كهل رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ يا أبا كهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا أو شوقا الى كان حقا على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم ،

وأخرج الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة . كانت له عدل عشرة رقاب . وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك

الفصل الثانى

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الاجتماع على الذكر بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وفيما بين العشاءين

والذكر فى هذين الوقتين يسمونه الوظيفة ، ووجه التسمية ظاهر أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله

ﷺ : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم
الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله في من عنده
وأخرج الترمذى وحسنه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول
الله ﷺ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا يا رسول الله وما رياض
الجنة . قال حلق الذكر

وأخرج الترمذى وحسنه عن أنس أيضا قال قال رسول الله ﷺ
من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى
ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة ورواه الطبرانى بإسناد : انقلب
بأجر حجة وعمرة

واسناد الطبرانى جيد . كما قاله المنذرى .

ورواه أحمد . وابن جرير وصححه من حديث على صلوات الله
عليه وأما الذكر فيما بين العشاءين . فيستدل له بما أخرجه الديلمى في
مسند الفردوس عن ثوبان رضى الله عنه مرفوعا من عكف نفسه ما بين
المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قراءة كان حقا
على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل منهما مائة عام ويغرس له
بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم وهذا الحديث أورده الغزالي في
الأحياء : وقال العراقى في تحريجه لم أجده أصلا من هذا الوجه . لكن
نقل السيد مرتضى الزبيدى عن الحافظ ابن حجر أن الديلمى أسنده .

والحديث وإن كان ضعيفا فإنه يصلح في هذا المقام كما يعلم من

كتب الاصول

ولنا دليل آخر وهو أن ما بين العشاءين وقت الغفلة كما نقل صاحب القوت عن الأسود بن يزيد النخعي قال ما أتيت ابن مسعود في هذا الوقت (يعني بين العشاءين) إلا ورأيتَه يصلي . فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة .

قال السيد مرتضى في شرح الاحياء ولهذا تسمى هذه الصلاة صلاة الغفلة لاشتغال الناس عن هذه الساعة .

وقال في موضع آخر من الشرح : لأن النفس تركن في هذا الوقت إلى الدعة والاستراحة خصوصاً إذا كان ذا كسب وحرفة أو إلى الاشتغال بالاكل والشرب . انتهى .

وإذا كان الأمر كما ذكرنا والحال على ما وصفنا . فلاشتغال بالذكر في هذا الوقت من أفضل الأعمال . لما رواه البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ذا كر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين .

الفصل الثالث

في بيان دليلهم فيما يفعلونه من الاجتماع على الذكر عشية يوم الجمعة

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة . فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .

وأخرج أبو داود . والحاكم وصححه وافر عن جابر رضى الله عنه
قال قال رسول الله ﷺ يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة . وفيه : فالتسوية
آخر ساعة بعد العصر

ونقل المنذرى فى الترغيب عن الامام أحمد أنه قال : أكثر الحديث
فى الساعة التى ترجى فيها اجابة الدعوة انها بعد صلاة العصر اهـ

فالمصوفية يجتمعون على الذكر عشية يوم الجمعة عملاً بهذا الحديث
وغيره من الاحاديث الواردة فى أن الساعة التى ترجى فيها اجابة الدعوة
يوم الجمعة بعد العصر .

وانما اختاروا الذكر على الدعاء لما أخرجه الدارمى . والترمذى
وحسنه والبيهقى فى الشعب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن
وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ومما يفعلونه
عشية هذا اليوم بعد الفراغ من الذكر ، الدعاء ومسح الوجه باليدين
بعده ثم المصافحة .

أما مسح الوجه باليدين بعد الدعاء . فدليلة ما أخرجه الترمذى
عن عمر رضى الله عنه . قال كان رسول الله ﷺ اذا رفع يديه فى الدعاء
لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه .

وأما المصافحة ، فدليلها ما أخرجه الشيخان عن كعب بن مالك فى
قصة توبته . قال وانطلقت أتأم رسول الله ﷺ حتى دخلت المسجد

فاذا رسول الله ﷺ حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحفنى ، وهنأنى الحديث

وأخرج أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت فى سرية من سرايا النبى ﷺ فحاص الناس حيصة ، فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالفضب . ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة . والا ذهبنا فأتيناه صلاة الغداة ، فخرج ، فقال من القوم . فقلنا نحن الفرارون ، فقال بل أنتم المكرون أنا فتمتكم وانا فئة المسلمين قال فاتيناه حتى قبلنا يده

وأخرج أحمد والبخارى فى الادب المفرد عن ابن جدهان قال قال نابت لانس أمسست بيدك النبى ﷺ ، قال نعم . فقبلها فهذه الاحاديث تدل على جواز المصافحة والتقبيل خلافا لمن أنكرهما ﴿ تنبيه ﴾ من عادة بعض الصوفية أن يجتمعوا على الذكر بعد صلاة الجمعة ، وهم فى ذلك آخذون بقول من يقول ترجى ساعة الاجابة فى ذلك الوقت ، فقد وقع الخلاف فى ساعة الاجابة يوم الجمعة على نحو أربعين قولاً ، وأرجحها انها بعد العصر الى الغروب ، والله أعلم



الفصل الرابع

في بيان دليلهم فيما يفعلونه من الرقص والذكر
في المآدب والولائم وعقب الأكل

أخرج الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا
ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ
ذكرته في ملأ خير منهم

وأخرج أحمد . وأبو يعلى . وابن حبان في صحيحه . والحاكم
وصححه وأقر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون .

في هذين الحديثين دليل على استحباب خصلتين من خصال الصوفية
أما الأولى فهي الجهر بالذكر في الجماعة .

وقد دل على استحباب هذه الخصلة الحديث الأول . فإن فيه الاخبار
بأن من ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم وهو الملأ الأعلى
كما جاء مفسرا في رواية أخرجه الطبراني بإسناد حسن عن معاذ بن أنس .
وأما الخصلة الثانية فهي الرقص : ويدل على استحبابها الحديث
الثاني وبيان ذلك أنه عليه الصلاة والسلام أمر فيه بأمر وجعل له غاية
أمر فيه بالاكثار من ذكر الله . وجعل الغاية قول الناس في الذاك
انه مجنون .

ولا يخفى أنه لا يقال في الذاكر أنه مجنون بمجرد قوله الله الله الله مثلا . لان ذلك أمر عادي للمسلمين . وإنما يقال فيه مجنون اذا ذكر الله كثيرا حتى صدر منه أمر غير عادي . كتحريرك الرأس . أو الجسد . فعند ذلك يقال فيه مجنون . واذا قيل فيه ذلك كان قد وصل الى الغاية المطلوبة في الحديث

فتبين بهذا أن ما يفعله الصوفية مستحب بنص الحديث . ولا يمكن لعالم أن يقول بتحريم رقص الصوفية . فانه لا خلاف بين جمهور الاصوليين والفقهاء أن الاصل في الاشياء الاباحة . فلو فرضنا أن رقص الصوفية لم يرد فيه نص لا بالتحليل ولا بالاستحباب لكان مباحا . إذ الاصل في الاشياء الاباحة . لا يقال انه حرام لأنه بدعة . فاننا نقول ليست كل بدعة محرمة . لان العلماء قسموا البدعة إلى محرمة ومكروهة ومستحبة وواجبة . أنظر قواعد الاحكام لعز الدين ابن عبد السلام . وشرح مسلم للنووي . وشرح البخاري للحافظ

وقد مثلوا للبدعة الواجبة بتدريس العلم وكتابة الكتب الدينية وللبدعة المستحبة بصلاة الرغائب في رمضان . وبناء المدارس لطلبة العلم على أننا اذا حققنا وجدنا الرقص ليس من البدع في شيء . وذلك لما تقدم من دلالة الحديث السابق عليه . فهو كالفضائل التي استحبابها الأئمة بطريق الاستنباط .

وقد أفتى شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني الشافعي باباحة رقص الصوفية ، وتبعه الحافظ السيوطي في فتوى ذكرها في

الحاوى . وفيها ذكر ان عز الدين ابن عبد السلام الشافعى كان يرقص مع الصوفية .

ونقل فى كتابه (حسن المقصد فى عمل المولد) عن سبط ابن الجوزى انه قال فى مرآة الزمان حكى من حضر سماط الملك المظفر فى بعض المواليده انه عد فى ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوى — الى أن قال : وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية . فيخلع عليهم . ويعمل للصوفية سماعا من الظهر الى الفجر ويرقص بنفسه معهم اه
وقد ذكر ابن خلكان فى ترجمة الملك المظفر مثل ما ذكره فى مرآة الزمان فانه قال عند ذكره احتفاله بالمولد النبوى : —

وكانت القباب منصوبة من باب القلعة الى باب الخانقاه المجاورة للميدان . فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة الى آخرها . قال : ويبيت فى الخانقاه ويعمل السماع فيها .

وقال فى موضع آخر من الترجمة : وبني مدرسة ورتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل السماط بها ويعمل السماع . وإذا طاب خلع شيئا من ثيابه قال : ولم يكن له لذة سوى السماع . فانه كان لا يتعاطى المنكر . ولا يمكن ادخاله البلاد . وبني للصوفية خانقاهين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين . الى أن قال — وكان ينزل بنفسه اليهم . ويعمل عندهم السماع فى كثير من الاوقات اه

فانظر الى ما كان يفعله هذا الملك الفاضل بمحضر أعيان العلماء من

المذاهب المتبعة . وما أنكر عليه أحد منهم . وهذا ابن خلكان يشهد له بأنه كان لا يتعاطى المنكر ولا يمكن من ادخاله الى البلد وبما أوردناه وحكيناه يزداد قولنا قوة على قوة ورأيت أبا الحسن الششتري استدلل للرقص في رسالة له في التصوف بحديث عائشة الذي أخرجه مسلم ان الحبشة لعبوا يوم عيد في المسجد ورسول الله ﷺ ينظر اليهم .

واستدل الحافظ السيوطي برقص جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه بين يدي النبي ﷺ لما قال له أشبهت خلقى وخلقى ولم ينكر عليه ثم بعد كتابة هذا وجدت أثرا يدل على أن الصحابة كانوا يرقصون اذا ذكروا قال ابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الجعد انا عمرو بن شمر حدثني اسماعيل السدي سمعت أبا أراكه يقول صليت مع على صلاة الفجر فلما انقفل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى اذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون حضرا شعثا غبرا بين أعينهم كأمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يتراوحن بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم فانظر قوله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح تجده صريحا في الرقص وبذلك يبطل قول من يدعى إنه بدعة محرمة والله أعلم

وأما الذكر في المآدب والولائم . فدليله ما أخرجه أبو داود

والحاکم وصححه وأقر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار . وكان عليهم حسرة يوم القيامة

فهذا الحديث تجد الصوفية يذكرون الله في المآدب والولائم .
وأما الذكر عقب الأكل . فدليله ما أخرجه الطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث عائشة مرفوعا : أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم . ومما يليق ذكره في هذا الفصل دليل ما يفعالونه من انشاد الأشعار مع الذكر بالانغام والاصوات الحسنة . والشعر كما قال الشافعي رحمه الله كلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح .

وإذا كان كذلك فما ينشده الصوفية من الشعر مع الذكر حسن مرضى . لأنهم لا ينشدون إلا الأشعار المشوقة إلى الله تعالى ، أو المتعلقة بمدح سيد الأكرام ﷺ قال الغزالي في الاحياء في باب السماع : —
الدرجة الثالثة الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الانسان . فيقطع باباحة ذلك ، لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما . والكلام المفهوم غير حرام . والصوت الطيب الموزون غير حرام . فاذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع . نعم ينظر فيما يفهم منه . فان كان فيه أمر محظور ، حرم نثره ونظمه ، وحرم النطق به ، سواء كان بألحان أو لم يكن إلى أن قال : ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز انشاده مع الألحان . فان أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا .

الى أن قال : وكيف ينكر انشاد الشعر وقد أنشد بين يدي
رسول الله ﷺ

ثم أورد ما أخرجه البخارى من حديث أبي بن كعب رضى الله
عنه مرفوعا إن من الشعر لحكمة .

وما أخرجه الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ
كان ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهم يرتجزون ويقولون
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة
وما أخرجه الشيخان من حديثه أيضا أن أنجشة كان يحدو بالنساء
في السفر

ثم قال : ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضى الله عنهم . وما هو إلا
اشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة . ولم ينقل عن أحد من
الصحابة انكاره .

وقال في باب آثار السماع وآدابه : واعلم أيضا أن الوجد ينقسم الى
هاجم . ومتكلف ويسمى التواجد . وهذا التواجد منه مذموم وهو الذى
يقصد به الرياء واظهار الأحوال الشريفة مع الافلاس منها . ومنه ما هو
محمود وهو التوصل الى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها بالحيلة .
فان لاكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول
الله ﷺ من لم يحضره البكاء عند قراءة القرآن أن يتباكى

قال العراقى في هذا الحديث : أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد من

حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه . ولفظه : اتلوا القرآن وابكوا
فان لم تبكوا فابتكوا

قال الغزالي : فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس
منها عند فقدتها بل ينبغي أن يتكاف اجتلابها بالسمع وغيره . انتهى
المراد منه .

فيما ذكرناه يتضح جواز ما ينشده الصوفية من الاشعار مع الذكر
بالاصوات والانغام . لأننا بينا أنهم ينشدون أشعاراً مشوقة إلى الله
والى رسوله ﷺ

وأما الذكر بالانغام . فدليله ظاهر بما تقدم . لانه اذا كان الصوت
الموزون غير حرام . والذكر كذلك : فمن أين يحرم المجموع اذا كانت
الافراد مباحة : خصوصاً وأن الذكر بالانغام يسهل على النفس الاكثار
منه بلا سآمة ولا مشقة . فالانغام مع الذكر وسيلة الى خصلتين محبوبتين
وذلك لأن الاكثار من الذكر محبوب كما أن حمل النفس على ما تطيقه
من الاعمال محبوب كما ثبت في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً :
عليكم بما تطيقون فوالله لا يميل الله حتى تملوا ، واذا كان كذلك ،
فالانغام مع الذكر مستحبة ، لأن ما ثبت للمقاصد يثبت للوسائل

بقى علينا أن نذكر دليل ما أخذوا عليه أنفسهم من ذكر الاسم المفرد
فان بعض المتأخرين اعترض عليهم في ذلك مستنداً الى فتوى صدرت
من عز الدين ابن عبد السلام بناها على أن الذكر بالاسم المفرد بدعة
وأنه ليس بجمللة بخلاف سائر الأذكار فانها مشتملة على كلام مفيد مثل

الحمد لله ولا إله إلا الله ونحو ذلك مع أن ادعاءه بدعية الذكر بالاسم
 المفرد ممنوع لأن الشارع لما أمر بالذكر لم يخص نوعا دون نوع ألا ترى
 إلى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق أكثر وأذكر الله حتى يقولوا مجنون
 وقوله في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني
 ونحوهما من الأحاديث فلو احتيج في كل ذكر بخصوصه إلى نقل عن
 الشارع والا كان بدعة لزم على ذلك أن يكون كثير من الأذكار بدعة
 وقد رأيت كلاما لمولانا الوالد رد به فتوى العز ابن عبد السلام أحبت
 أن أختتم به هذا الفصل تنجما للفائدة قال رضى الله عنه : ما نقله الخطاب
 آخر باب الردة من شرحه المختصر خليل من أن عز الدين ابن عبد السلام
 سئل عمن يذكر بصيغة الله الله مقتصرًا على ذلك هل هو مثل
 سبحان الله والحمد لله فأجاب بقوله هذه بدعة لم تنقل عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف . الخ . . . مردود من وجوه (أولها)
 ماورد في صحيح مسلم من قوله عليه الصلاة السلام لا تقوم الساعة حتى
 لا يبقى على الأرض من يقول الله الله ، وفي رواية له حتى لا يقول أحد
 الله الله فإن هذا الحديث شاهد لذكره وتكراره كما ترى لا سيما على
 رواية النصب وقد رد جماعة من المحققين به على ابن عبد السلام منهم
 سيدي عبد القادر الفاسي والعارف الشعرائي وابن عبد السلام بناني في
 جماعة يطول ذكرهم (ثانيها) أنا لأنسلم أن الذكر لا يكون إلا جملة فقد
 قال تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها بناء على أن المراد بالذكر الدعاء

والتسمية^(١) (الثالث) أنا وإن سلمنا أن الذكر إنما يكون جملة فقول
الذا كر الله الله . جملة تقديرًا اذ معناه يا الله والله أعظم أو أكبر أو نحو
ذلك وحذف النداء مع غير المندوب والمضمر والمستغاث جائز اتفاقا كافي
الأنفية (رابعها) ماورد في بعض الأحاديث من أن العبد اذا قال الله
يشهد له كل من يسمعه ذكره ابن زكري والمهدة عليه^(٢) (خامسها)
تواطؤ السادات الصوفية على ذكره والاستهتار به سلفهم وخلفهم وهم
من الصديقين وقد قالوا اذا اختلفت أقاويل العلماء فعليك بما قاله
الصديقون منهم لمزيد نورهم وكمال عرفانهم وقربهم من الله ورسوله
والسادات الصوفية لا خلاف عندهم في ذكره بل لا يصح عندهم الفتح
والسير في المقامات إلا بواسطته ولهم فيه تأليف وترتيبات على حسب
الأحوال والمقامات قال العارف المحقق شهاب الدين أحمد الغزالي ما دمت
ملتفتا إلى ماسوى الله فلا بد لك من النفي والاثبات بلا إله إلا الله
وما دمت تعتمد على رئاسة العلم والجاه فلا بد لك من النفي والاثبات
بلا إله إلا الله وما دمت ترى في الوجود سواه فلا بد من لا إله إلا
الله فاذا غبت في الكل عن الكل استوحشت من نفي لا إله ووقفت على

(١) وعلى هذا درج صاحب الكشف في سورة الاسراء في تفسير قوله
تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية اه عبد الله محمد الصديق
(٢) أشار بهذه العبارة إلى أن في هذا الحديث بهذا اللفظ نظرا وهو
كذلك فان المعروف أن الحديث وارد في الأذان كما في الموطأ وصحيح البخاري اه
عبد الله محمد الصديق

اثبات إلا الله . قل الله ثم درهم في خوضهم يلعبون اه
وقال العارف الشعراني في المنن ومما من الله به على مواظبتى أول
دخولي لطريق القوم على ذكر الله بلفظ الجلالة أربعاً وعشرين ألف مرة
في كل يوم وليلة على عدد الانفاس الواقعة في الليل والنهار ليكون حكى
إن شاء الله حكم من لم يغفل عن الله نفساً واحداً ثم قال قال الشيخ محي
الدين وينبغي لمن يذكر الله بالجلالة أن يحقق الهمزة ويسكن الهاء ، فإن
فتح الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة كأن تلفظ بها كتلفظه
بكلمة هلا فلا يفتح عليه بشيء لأنه تعالى ما هو مسمى بذلك الاسم ثم
قال وصورة الذكر بالجلالة أن يقول الله . الله حتى ينقطع نفسه اه
وذكر أبو على الدقاق أن رجلاً كان يقول الله الله دائماً فأصاب حجر رأسه
فقطر منه الدم وكتب على الأرض الله الله وبقى النورى في منزله سبعة
أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول الله الله الله فأعلم الجنيد بذلك
فقال انظروا المحفوظة عليه أوقاته فقالوا له انه يصلى الفرائض فقال الحمد
لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً وسئل الشبلى لم تقول الله الله ولا
تقول لا إله إلا الله فقال لا أبغى له ضداً فقال السائل أريد أعلى من
هذا فقال أخشى أن أؤخذ بين وحشة النفى والاثبات فقال أريد
أعلى من هذا فقال قل الله ثم درهم في خوضهم يلعبون فزعق السائل
ومات فتعلق أولياؤه بالشبلى فقال لهم روح دعيت فسمعت فلبت
وأجابت فما ذنبى فقال الخليفة خلوا سبيله لا ذنب له قال العارف أبو
الوفاء . وتعليل هذا المذهب أن نفي الشيء إنما يحتاج إليه عند حضور

ذلك الشيء بالبال فمن لا يخطر بباله شريك لا يكلف نفي الشريك
والكامل لا يخطر بباله ولا بخياله الا الله فيكفيه أن يقول الله الله اه
وقال القطب الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه ليكن ذكرك الله
الله فان هذا الاسم سلطان الاسماء وله بساط وثمره فبساطه العلم وثمرته
النور وليس النور مقصودا لذاته بل لما يقع به من الكشف والعيان
فينبغي الاكثار من ذكره واختياره على سائر الاذكار لتضمنه لجميع مافي
لا اله الا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقوق فانه يأتي في «الله»
وفي «هو» مالا يأتي في غيرها من الاذكار اه قال الشيخ زروق ولهذا
اختاره المشايخ ورجحوه على سائر الاذكار وجعلوا له خلوات ووصلوا
به الى أعلى المقامات والولايات وان كان منهم من اختار في ابتداء لا
اله الا الله وفي الانتهاء الله الله اه وقال ابن حجر في الفتاوى الحديثة
ذكر لا اله الا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقا بلسان أهل الظاهر
وأما عند أهل الباطن فالحال عندهم يختلف باختلاف حال السالك فمن هو
في ابتداء أمره ومقاساة شهود الاغيار وعدم انفكاكه عن التعلق بها
يحتاج الى النفي والاثبات حتى يستولى عليه سلطان الذكر فاذا استولى
عليه فالأولى له لزوم الاثبات أعنى الله الله اه بخ

وقال الجنيد ذا كر هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه قائم
بأداء حقه ناظر اليه بقلبه قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته اه بخ
قال الشيخ محي الدين ومن أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف
فليتخذ خطوة وليترك سائر الاذكار والاوراد غيره ولا يذكره من حيث

انه يدل على العين فقط بل لابد أن يستحضر أنه يذكّر من لا تحصره
الأكوان ومن له الوجود المطلق التام فهذا الاستحضار تحصل الثمرة
التي هي النور الذي يقع به الشهود والعيان وهذا الاستحضار هو المعبر
عنه بالبساط اه وفي صلاة القطب مولانا عبد السلام الله الله الله
ثلاث مرات أفيجترى أحد أن يفوه في ذلك بعيب أو طعن وريب ،
كلا وكيف وأصول الشريعة لا تأباه ولا تدل على خروجه من ذكر الله
لا لفظاً ولا معنى ، إلى غير هذا من نصوص أولياء الله الدالة على استحباب
ذكره قال شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الفاسي بعد كلام في هذا المعنى
ولا يخفى هذا على من له ممارسة باصطلاحهم فيكفينا التسليم والتصديق
لما قصرت عنه مدار كنا من مذاهبهم فاشدد يديك على تسليم ما فعلوا
وظن خيراً ولا تبعاً بمن عدلاً . إذ التصديق بطريقهم ولاية
والاعتراض عليهم جنائية قال وليس في كلام عز الدين تصريح بانكار أو
بغيره بل غاية ما قال أنه لم ينقل عن السلف وكم من أشياء لم تنقل عن
السلف وهي مشروعة إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم
فلا ينبغي الانكار على من يذكر هذا الاسم الشريف ولا التوقف فيه اه
كلام سيدي عبد القادر الفاسي وهو وحده كاف في رد كلام ابن عبد
السلام^(١) والله تعالى أعلم إلى هنا كلام مولانا الوالد رضي الله عنه وبه تم
هذا الفصل والله الموفق

(١) إنما كان كلام الشيخ عبد القادر الفاسي وحده كافياً في رد كلام ابن عبد
السلام لأنه أشار فيه بقوله : إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم ،

الفصل الخامس

في بيان دليلهم فيما يفعلونه من الذكر عقب الأذان
ومع الجنائز وفي السكك والأسواق

أما الذكر عقب الأذان. فدليله ما أخبرني به العلامة العامل خطيب
الزاوية الصديقية بطنجة المحروسة سيدي العربي بوعباد عن سيدنا
ومولانا الوالد قدس الله روحه . أنه كان يقول : —

ان دليل الصوفية في الذكر عقب الاذان . حديثان . أحدهما أخرجه
أبو داود . والترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ثانيهما الحديث القدسي الذي
أوردته في الفصل الثالث^(١) ووجه الدلالة منهما ظاهر واضح .

إلى ما ذكره ابن عبد السلام نفسه في قواعده من أن البدعة تنقسم — بحسب اشتغالها
على المصلحة والمفسدة أو خلوها عنهما — إلى أقسام الحكم الخمسة وبين ذلك بأمثله
أتم بيان وذكر ما يشهد له من قواعد الشريعة وواقفه على هذا الامام النووي
وجهور العلماء إلا من شذ منهم ممن لا يعتد به كصاحب الاعتصام وما أبعدته عن
معرفة قواعد الاحكام وما تنبى عليه من المصالح والمفاسد رغم كتابه المواقفات
وانما هو صاحب نحو ليس غير وحيث ان الامر على ما ذكره ابن عبد السلام
فكيف ساع له أن يرد الذكر بالاسم المفرد بمجرد كونه بدعة مع أنه — ان سلم
خلوه عن المصلحة — فليس فيه مفسدة فيكون جائزا على حسب أصله ذلك من
تقسيم البدعة الذي استقر عليه عمل الامة طبة بعد طبة بحيث صار إجماعا عمليا مستمرا

وأما الذكر مع الجنائز فإنه لما غلبت الغفلة على الناس وقست قلوبهم وصاروا يمشون مع الجنائز يشيعونها وهم يفتابون الناس ويتكلمون بلغو الكلام استحب الصوفية الذكر مع الجنائز ليستغل به الناس عن هذا الفعل القبيح الذي يتأذى به الميت حتى يدخل قبره . كما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما فيما أخرجه أحمد في المسند عن أبي الربيع قال كنت مع ابن عمر في جنازة فسمع صوت انسان يصيح . فبعث اليه فأسكته . فقلت له لم أسكته يا أبا عبد الرحمن . فقال أنه يتأذى به الميت حتى يدخل قبره

فهذا ابن عمر يخبر أن الميت يتأذى بمجرد الصياح . ولم يكن ذلك الصياح نياحة . إذ لو كان نياحة لما خفي على التابعي أمرها حتى سأل عنها . إذ تحريمها كان مشهورا لديهم .

وإذا كان الميت يتأذى بالنياحة فلا أنه يتأذى بالغيبة ولغو الكلام . أولى لعظم ضررها وحيث ثبت أن الميت يتأذى بما ذكرنا فلا يخفى أن إذاية المؤمن محرمة شرعا . وفيها اثم مبين . ووزر عظيم . كما قال تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا) .

فكان الشيخ عبد القادر الفاسي بكلامه المتقدم يشير إلى رد كلام ابن عبد السلام بنفس كلام ابن عبد السلام على طريقة الالتزام ولذا كان وحده كافيا في رده اه
عبد الله محمد الصديق

(١) وهو حديث « من شغله قراءة القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل

ما أعطى السائلين »

وقد ثبت في السنة أن حرمة المؤمن ميتا كحرمة حيا . وإذا كان كذلك فالذكر مع الجنائز مستحب في هذا العصر . لما فيه من دفع الأذى الذي يلحق الأموات عند عدمه

والعجب من بعض أهل هذا العصر يشكرون الذكر مع الجنائز مع ما فيه من المصلحة التي بينها . ويستحسنون قراءة القرآن جهرا بصوت واحد من جماعة يوم الجمعة قبل الصلاة . مع أنه لا فرق بين الذكر مع الجنائز وبين ما يستحسنونه من حيث أن كلا منهما لم يكن في عصره عليه الصلاة والسلام . فما بالهم يشكرون هذا ويستحسنون ذلك من غير دليل ولا برهان .

فإن قيل قد ثبت الترغيب في الاجتماع على القرآن في المساجد ؟ قلنا نعم . كما أنه ثبت الترغيب أيضا في الجهر بالذكر في الأسواق والسكك فمن أين أتوا بهذا التفريق العجيب . وما كان الصحابة رضي الله عنهم يقرأون القرآن يوم الجمعة قبل الصلاة على الصفة التي يفعلها أهل هذا العصر . لم يثبت أنهم فعلوا ذلك أصلا . كما أنهم ما كانوا يذكرون مع الجنائز جهرا بل كانوا إذا شيعوا الجنائز لم يتكلموا بكلام ما . وإنما يتفكرون فيما يصير إليه الميت وفيما يلقاه من الأهوال والأعمال . كما أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة إبراهيم النخعي قال : كنا إذا حضرنا الجنائز أو سمعنا بميت عرف فينا أياما . لانا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار . قال وانكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم فالو كان الناس في هذا العصر يملكون مثل فلان السكوت

مستحبا . ولكن لا يستقيم لهم ذلك في هذا العصر المظلم والله أعلم .
وأما الذكر في الاسواق وفي السكك . فدليله ما أخرجه الحاكم
عن عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال من دخل السوق فنادى
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على
كل شيء قدير . كتب الله له ألف ألف حسنة . ومحا عنه ألف ألف
سيئة . ورفع له ألف ألف درجة . وبني له بيتا في الجنة
وأخرج أحمد . وأبو داود . والترمذي وصححه عن السائب أن
رسول الله ﷺ قال : جاءني جبريل فقال مرأصحابك يرفعوا أصواتهم
بالتكبير .

وقد جمع الحافظ السيوطي ماورد من الاحاديث المتعلقة بهذا
الموضوع في جزء سماه (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر) وهو مطبوع .
والله أعلم .

الفصل السادس

في بيان دليلهم فيما يفعلونه من الذكر على الميت قبل دفنه وقراءة يس
أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفهم
الملائكة وغشيتهم السكينة .
وأخرج البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ان لله
سيارة من الملائكة يطلبون خلق الذكر . فاذا أتوا عليهم حفوا بهم .

فيقول الله تعالى غشوهم برحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .
واخرج احمد في الزهد عن ثابت قال كان سلمان رضى الله عنه
في عصابة يذكرون الله . فمر النبي ﷺ فقال ما كنتم تقولون . قلنا نذكر .
قال انى رأيت الرحمة تنزل عليكم فاحببت ان اشاركم فيها .
ففي هذه الأحاديث دلالة واضحة على انتفاع الميت بما يفعله الصوفية
من الذكر عليه قبل دفنه .

واخرج احمد . وابو داود . وصححه ابن حبان عن معقل بن يسار
رضي الله عنه قال يس قلب القرآن . لا يقرأها رجل يريد الله والدار
الآخرة الا غفر له وقرأوها على موتاكم .
ولفظ الحديث نص في الأموات وتناوله للحى المختصر مجاز لا يمار
اليه الا بقرينة . والله أعلم .

الفصل السابع

في بيان دليلهم فيما يفعلونه من الذكر والأكل في المسجد
اخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه قال بينما نحن في المسجد مع
رسول الله ﷺ اذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد وذكر الحديث .
الى أن قال : —
ثم ان رسول الله ﷺ دعاه (يعنى الاعرابي) ثم قال ان هذه
المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر . انما هي لذكر الله
والصلاة وقراءة القرآن .

وأخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه قال كنا
نأكل على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الخبز واللحم .
وأخرج البخارى وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما انه كان
ينام وهو شاب عزب لا أهل له في مسجد رسول الله ﷺ .
قال البخارى وقال ابو قلابه عن أنس قدم رهط من عكل على
رسول الله ﷺ فكانوا فى الصفة .
وقال قال عبد الرحمن بن أبى بكر كان اصحاب الصفة الفقراء
والله أعلم

الفصل الثامن

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الجمع بين العشاءين
جمع تأخير من غير مطر فى بعض الأحيان
أخرج مسلم وأصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة
من غير خوف ولا مطر .
قيل لابن عباس ما أراد بذلك . قال أراد أن لا يخرج أمته .
وفى رواية لمسلم من طريق عبد الله بن شقيق قال خطبنا ابن عباس
يوما حتى بدت النجوم وجعل الناس يقولون الصلاة الصلاة قال فجاء
رجل من بنى تميم لا يفتر ولا ينثى الصلاة فقال ابن عباس
اتعلمنى بالسنة . لا أم لك . ثم قال رأيت رسول الله ﷺ جمع بين

الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال عبد الله بن شقيق : فذاك في صدرى
من ذلك شيء فأتيت أبا هريرة فسألته . فصدق مقالته .

قال النووى فى شرح مسلم . هذه الروايات الثابتة فى مسلم كما تراها
وللعلماء فيها تأويلات ومذاهب . ثم حكى المذاهب وقال وذهب جماعة
من الأئمة الى جواز الجمع فى الحضر للحاجة لمن لا يتخذ عادة وهو قول
ابن سيرين واشهب من أصحاب مالك . وحكاه الخطابى عن الثعال .
والشاشى الكبير من أصحاب الشافعى . واختاره ابن المنذر . ويؤيده
ظاهر قول ابن عباس أراد أن لا يخرج أمته فلم يعمل به بمرض ولا
غيره . انتهى .

والفقراء فى هذا العصر لا يواظبون على الجمع بين العشاءين وإنما
يفعلونه فى بعض الأحيان اذا طال بهم مجلس الذكر . والله أعلم

الفصل التاسع

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من التبرك بآثار المشايخ والصالحين

أخرج مسلم عن أنس رضى الله أن رسول الله ﷺ لما رمى الجرة
ونحر نسكه . ناول الحلاق شقه الأيمن فخلقه ثم دعا اباطلحة الانصارى
فاعطاه اياه . ثم ناوله الشق الأيسر فقال احلقه فخلقه فاعطاه أبا طلحة
الانصارى وقال اقسه بين الناس .

وأخرج أحمد عن عبد الله بن يزيد أنه شهد رسول الله ﷺ عند
المنعرج ورجل من قريش وهو يقسم الاضاحى فلم يصبه شيء ولا صاحبه

خلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه فأعطاه منه وقسم منه على رجال
وقلم أظفاره فأعطى صاحبه

وأخرج البخاري عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال أرسلني أهلي
إلى أم سلمة بقدح من ماء فجاءت بججل من فضة فيه شعر من شعر
رسول الله ﷺ فكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها باناء
نفضت له فشرب منه .

وفي صالح الحديبية من رواية المسور بن مخرمة ماتنخم رسول الله
ﷺ نخماة الا وقعت في كف رجل فذلك بها وجهه وجلده واذا توضع
كادوا يقتتلون على وضوئه وهو بكأله لأحمد والبخاري .

وذكر القسطلاني في المواهب أن أبا بكر ابن الانباري روى أنه
لما أنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة في مدح رسول الله ﷺ
ووصل الى قوله : —

ان الرسول لنور يستضاء به

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه . وأن معاوية بذل
له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر ثوب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أحداً فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفاً .
فأخذها منهم

قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم . انتهى كلام ابن
الانباري .

وذكر ابن الأثير في تاريخه ما ذكره ابن الانباري .

وقال ابن خلدون ووفد على النبي ﷺ كعب بن زهير واهدر دمه وضائق به الأرض وجاء فاسلم وأنشد النبي ﷺ قصيدته المعروفة بمدحه وأعطاه بردة في ثواب مدحه فاشتراها معاوية من ورثته بعد موته : وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراً انتهى .

وقد أخرج ابن الجوزي في الثالث والتسعين من مناقب الامام أحمد بسنده الى الربيع تلميذ الشافعي رضى الله عنه قال قال لي الشافعي يارب خذ كتابي وامض به وسلمه الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأنتني بالجواب .

قال الربيع فدخلت بغداد ولقيت أحمد بن حنبل صلاة الصبح فصليت معه الصبح . فلما انقضى من المحراب سلمت اليه الكتاب وقلت له هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر . فقال أحمد نظرت فيه . قلت لا . وكسر أحمد الخاتم وقرأ الكتاب وتغرغرت عيناه بالدموع . فقلت له أى شيء فيه يا أبا عبد الله . فقال يذكر أنه رأى النبي ﷺ في المنام . فقال له اكتب الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقراء عليه مني السلام وقل انك ستمتحن وتدعى الى خلق القرآن فلا تجبهم يرفع الله لك علما الى يوم القيامة . قال الربيع فقلت بالبشارة نخلع قميصه الذي يلي جلده فدفعه الى فأخذه وخرجت الى مصر . فقال لي الشافعي يارب خذ أى شيء الذي دفع اليك . قلت القميص الذي يلي جلده . فقال لي ليس تفجعك به ولكن اغسله وجئنا بمائه . قال فغسلته فحملت ماءه اليه فتركه في قنينة وكنت أراه في كل يوم يأخذ منه يمسح على وجهه تبركا بأحمد بن حنبل . والله أعلم .

الفصل العاشر

في دليل السبحة

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياہ وإن كانت مثل زبد البحر .

في هذا الحديث دليل على أن في الازكار ما يعتبر فيه المحصر والعد وكذلك في الأحاديث التي قدمناها في الفصل الأول فيها دليل على ما ذكرنا . والسبحة وسيلة إلى ضبط العدد الذي ورد الترغيب فيه وقد أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد . وأبو نعيم في الحلية من طريق نعيم بن الحر بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به .

وأخرج أحمد في الزهد عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان لأبي الدرداء نوى من نوى العجوة في كيس فكان إذا صلى الغداة أخرج من واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفذن .

وأخرج بن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري أنه كان يسبح بالحصى فهو لاء ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون باستحباب السجدة وفيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقد عمل الأئمة المجتهدون بأقوال الصحابة في الحلال والحرام . بل عملوا بأقوال التابعين كما يعلم من الموطأ للمالك والأُم للشافعي . وكتب أبي حنيفة

ككتاب الآثار لمحمد بن الحسن ونحوه . والله أعلم .

الفصل الحادى عشر

فى دليل اتخاذ العصا

أخرج ابن ماجه عن أبى امامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ وهو متوكىء على عصا .

وأخرج البزار . والطبرانى . بسند ضعيف عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان اتخذ عصا فقد اتخذها أبى ابراهيم .

وأخرج ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة عمير بن سعد وكان من زهاد الصحابة رضى الله عنه أن عمر رضى الله عنه قال له حين قدم من حمص مامعك (يعنى من الدنيا) فقال معى جرابى أجعل فيه زادى وقصعتى آكل فيها رأسى وثيابى وعنزتى أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا ان عرض . فوالله فيها وأغسل ما الدنيا الا تبع لمتاعى .

(العنزة) : عصا فيها زج من حديد . والله أعلم .

الخاتمة

فما ورد فى الابدال

أخرج أحمد فى مسنده عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند على بن أبى طالب صاوات الله عليه فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين . قال لا . سمعت رسول الله ﷺ يقول الابدال بالشام وهم أربعون رجلا

كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

قال الحافظ السيوطي رجاله رجال الصحيح غير شريح وهو ثقة وأخرج الحاكم وصححه وأقره الذهبي عن عبد الله بن زريق النافقي انه سمع علي بن أبي طالب يقول لا تسبوا أهل الشام فان فيهم الابدال وسبوا ظلمتهم .

وأخرج ابن عساكر عن عياش بن عباس القتباني ان علي بن أبي طالب قال الابدال من أهل الشام . والنجباء من أهل مصر . والأخيار من أهل العراق .

وأخرج أحمد في المسند عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال الابدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا آخر قال الحافظ السيوطي ورجاله رجال الصحيح .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لن تخاو الأرض من أربعين رجلا فيهم تسقون وبهم تنصرون . ما مات رجل إلا أبدل الله مكانه آخر .

قال قتادة لسنا نشك أن الحسن منهم .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد اسناده حسن .

وأخرج الطبراني . وأبو نعيم في الحلية . وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ خيار أمتي في كل قرن خمسمائة .

والإبدال أربعون . فلا الخمسةائة ينتقصون ولا الأربعون كلما مات رجل أبدل من الخمسةائة مكانه . وأدخل في الأربعين : قالوا يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله عز وجل .

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الإبدال إنهم لم يدركوها بصلاة ولا صوم ولا بصدقة . قالوا يا رسول الله فبم ادركوها . قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين .

وورد في حديث آخر عند البيهقي أن إبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بالأعمال ولكن دخلوها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدور والرحمة بجميع المسلمين

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رجل للنبي ﷺ كيف ترى في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم . فقال رسول الله ﷺ المرء مع من أحب

وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم .
والحمد لله رب العالمين

قال مؤلفه محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق غفر الله له وكان الفراغ من جمعه في آخر يوم من شعبان سنة ١٣٥٥ هـ

ولما اطلع على هذه الرسالة فضيلة الاستاذ العالم الجليل الشيخ العربي
بوعباد خطيب الزاوية الصديقية بطنجة جادت قريحته الوقادة بهذا
التقرير النفيس :

الحمد لله الذى أنعم على من اصطفاه من عباده بكرامة الايمان . وتم
على من اجتباه لحضرته نعمة الاحسان . فحصل بها على الشهود والعيان .
واشهد أن لا إله إلا الله الواحد الذى كان ولا شئ معه وهو الآن على
ما عليه كان . وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله منبع الاسرار والمرفان
ومعدن الحقيقة التى خص بها من شاء من أمته فصديقهم من سبقت له
السعادة وكذب من كتب عليه الخذلان . صلى الله وسلم عليه وعلى آله
وأصحابه الذين ورثوا عنه علمى الظاهر والباطن فباحوا بالشريعة وكنتموا
الحقيقة إلا عن أهلها أى كتمان . أما بعد فلما اطلعت على الرسالة
الموضوعة فى تأييد طريقة القوم . وما حوته من الادلة الصحيحة التى
لم يبق معها انكار ولا لوم . لجامعها العارف بالله العالم العلامة العامل . المحدث
الصوفى السنى الورع الكامل . سلالة العارفين الاولياء . وفرع شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . سيدى محمد الزمزمى ابن الانيسان
السكامل شيخنا وحبيبنا سيدنا محمد بن الصديق الشريف الحسى الشاذلى
الذى قامت على رسوخه فى المصرفة بالله البراهين والحجج . وعجز الواصف
عن جزئيات كمالاته وماذا عسى أن يقول سوى حدث عن البحر ولا
حرج . قدس الله روحه ونور بأنوار الكرامات مزاره وضريحه وأعاد
علينا من بركته . وأمانتنا على محبته . آمين . وجدها رسالة مع صفرها

جامعة عجيبة الترتيب بديعة المبني . سهلة التناول مفيدة فائدة يحسن
 السكوت عليها لاشتمالها على تمام المعنى تضمنت عيون المسائل ومسائل
 العيون . فحذيرة بأن تكتب بماء الذهب بل بسواد العيون . وكيف لا
 وموضوعها علم أطبقت الأُمم على تشريفه . واختلفت العبارات لعلو شأنه
 في حده وتعريفه . وناهيك يعلم يدل على تصفية الأعمال حتى يأخذ
 المتحقق به من كل عمل لبه . ويبحث عن معرفة النفس ودسائسها ومن
 عرف نفسه فقد عرف ربه . ولعظم قدره كان وجوده أعز من الكبريت
 الأحمر . وتأخر عن دخول ميدانه جل نبى الاسود والاحمر . وذهب
 الناس فيه مذاهب . منهم من اعترف به وسلك طريقه فنال علو المراتب
 ومنهم من جحدته وانكره . ومنهم من اعترف به لكن لمن تقدمه دون
 من عاصره . ومن هذه الطائفة نشأ جل الانكار على أهل الطريق ففسبواهم
 الى الابتداع . وعليهم رد من ألف في هذا الموضوع من العلماء وبين بالادلة
 الصحيحة أن طريقهم طريقة اقتداء بالرسول واتباع . ومن أجملهم مؤلف
 هذه الرسالة اللطيفة التي بين فيها رضى الله عنه مستند عوائدهم أتم بيان
 ورفع اللبس عن شعائهم وأماط الخمار عن وجه حقيتها حتى رؤى بالعيان
 واستدل على جل مهمات أحوالهم بدليل شرعى صحيح كما تراه . أو قول
 عالم معتبر حكمه فيما حكم به وأمضاه . وحينئذ فلم يبق بعد هذا لمن وقف
 عليها وتأملها بالانصاف . الا التسليم والافرار بالفضل لأهل الطريق
 والاعتراف . وتحقق إذ ذاك أنه لا ينكر أحوالهم إلا جاهل بالسنة
 وأسرارها . أو عالم راض عن نفسه قد غرق في محبة الدنيا وأغيارها .

والعجب ممن ينكر أحوال القوم رضى الله عنهم وهو يسمع أو يرى
من هو موجود فيها فى كل زمان من خواص العلماء الراسخين فى العلم
والتحقيق . ممن لا يكون المعارض قطرة من بحرهم العميق . إذ ما من طبقة
مضت من الصوفية من لدن عصر التابعين إلى وقتنا إلا وتجدها ملائ
بأكابر العلماء . ومشايخ الصالحاء . أليس ذلك دليلاً قاطعاً على أن طريقهم
طريقة حق وسنة واعتبار . إذ من المحال أن تسكون على غير السنة وينتظم
فى سلكها خواص العلماء الأبرار . وبالجمله فما كتبه هذا العالم الجليل فى
هذه الرسالة اللطيفة فيه كفاية لكل منصف . ومقنع لمن هو باتباع الحق
متصف . والموفق تليـل الوعظ يكفيه . والمخذول لا يرتوى ولو سقيته
من ماء البحر بما فيه . والله المسئول أن ينفع بها كمؤلفها كافة الأمة . وينزل
بها عن صدور المؤمنين كل غمة . وأن يجعلها لأهل الانتقاد فى الرجوع سبباً
حتى يلحقوا بأهل الطريق نسباً . وأن يجزل لمؤلفها الثواب . بلا عد ولا
حساب وأن يجعلنا يامولانا من المحبين لهذه الطريقة العلية . وأن تحسرننا
فى زميرتهم تحت لواء خير البرية . وأن تغفر لنا ولوالدينا ولأشيانا
ولجميع اخواننا المسلمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
والحمد لله رب العالمين

وكتبه عبد ربه خادم الأعتاب الصديقية

والمنتظم بالفضل فى سلك طريقته النورانية

الراجى من مولاه الغفران يوم التناد

العربى بن العربى بوعباد

﴿ بيان الخطأ والصواب في كتاب الانتصار ﴾

ص	س	الخطأ	الصواب
٨	٥	آذنته	آذنته بالحرب
١٠	٩	معنى	معى
١١	٨	فلنكتشف	فلنكتف
١٢	١٢	وتعميد	وتعمير
١٢	١٢	الحافظ في	الحافظ السيوطي في
١٣	١	بالباطن	بالباطل
١٥	١٤	بطلان	بطلان
١٥	١٥	تلييس إبليس	تلبيس إبليس
٢٢	٣	إلا ورأيته	إلا رأيته
٣٢	١٩	بالذكر الدعاء	بالدعاء الذكر
٣٣	٢	يا الله والله	يا الله أو الله
٣٨	١٢	فلأنه	فلأن
٤٦	١٤	السجدة	السبحة

ملحوظة : وقع في ص ٤٧ هذه العبارة : وقصعتي آكل فيها رأسي وثيابي وعنزتي الخ وهو تحريف نشأ عن تقديم لبعض الكلمات وتأخير وصواب العبارة : وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً أن عرض فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعى ،